﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾ [الانشقاق: 20 - 25]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الإنكارُ على الكُفّارِ عدمَ الإيمان

لمّا ظهر للكفّار المرادُ، ولم يبق إلّا العناد، سَبَّبَ عن ذلك الإنكارَ عليهم والتّوبيخ والتّقريع والتّهديد، فجاء بهذه الآيات مُعرضًا عن خطابهم إلى الغَيبة إيذانًا باستحقاقهم للأخذ إن لم يرجعوا، والعقاب إن لم يرعَووا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوعُونَ﴾: (وعي) أصلٌ يَدُلُّ على ضَمِّ شيءٍ، وعيتُ العِلْمَ أعيه وعيًا. وأوعيت المَتاع في الوعاء أوعيه[2]. والوعي: حفظُ الحديث ونحوه في الذِّهن. ويقال: وعيت الحديث وأوعيت المَتاع. قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: 18]، أي: جمع الأمتعة والأموال في أوعيتها، أي: إنَّه لم يكن مفرّطًا في دنياه بل شديد الحرص عليها[3]. فمعنى ﴿يُوعُونَ﴾ في الآية: ما يجمعون في صدورهم من الشّرك والتّكذيب[4].

2) ﴿مَمْنُونٍ﴾: اسم مفعول من (منّ)، و(منن) أصلان؛ أحدهما يدلّ على قطعٍ وانقطاعٍ، والآخر على اصطناعِ خير. فالأوّل: المنّ بمعنى القطع، والنَّقص. والمَنون: المنيّة؛ لأنّها تَنقُصُ العدد، وتقْطعُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 348.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وعي).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (وعي).
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 104.

المدد. والأصل الآخر: المنّ بمعنى الصَّنيع الحَسَن[1]. وبناءً على هذا يكون الأجرُ غير الممنون في الآية الأجرُ الخالص مِن الشَّوائب، الدّائم الّذي لا انقطاعَ فيه ولا نقصَ ولا بخسَ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وعيدُ الكفّار بالعذاب الأليم ووعدُ المؤمنين بالأجر العظيم

يُنكر الله سبحانه على الكفّار قائلًا: فأيُّ شيءٍ يمنعُهم مِن الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحت لهم الآيات؟ وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلِّمون بما جاء فيه؟ إنّما سجيَّةُ الّذين كفروا التَّكذيبُ ومخالفةُ الحقِّ. والله أعلم بما يكتمون في صدورهم مِن العناد مع علمهم بأنَّ ما جاء به القرآن حقٌّ، فبَشِّرهم - أيّها الرّسول - بأنّ الله ﷻ قد أعدَّ لهم عذابًا موجعًا. لكنَّ الّذين آمنوا بالله ورسوله وأدَّوْا ما فرَضَه الله عليهم، لهم أجرٌ في الآخرة غيرُ مقطوعٍ ولا منقوصٍ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾:

تفريع إنكار عدم الإيمان على قيام البرهان

وُصِل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما قبله بحرف الفاء، وتحتمل أن تكون هذه الفاء الفصيحةَ أو للتّفريع، فعلى كونِها فاءَ الفصيحة؛ أي أفصحت عن جواب شرطٍ مُقَدَّرٍ، فيكون المعنى: (إذا علم النّاس أنّهم يركبون طبقًا بعد طبق فمالهم لا يؤمنون)؟[4] وعلى كون الفاء للتّفريع والتّرتيب يكون التّفريع على ما ذُكر من أحوال من أوتي كتابه وراء ظهره، ويجوز أن يكون مُفرَّعًا على قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، أي: إذا تحقّقت ذلك فكيف لا يؤمن بالبعث الّذين أنكروه[5].

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (منّ).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 105، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 293.
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 589.
(4) درويش، إعراب القرآن: 10/ 427.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 230.

بلاغة الاستفهام بـ(ما):

عدم الإيمان محطُّ التعجّب والإنكار

(ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ اسم استفهام، وهي تكون للسّؤال عن ذوات ما لا يعقل، وأجناسه، وصفاته، وللسّؤال عن صفةِ مَن يعقل[1]. والمعنى في الآية: (فأيُّ شيءٍ حاصلٌ لهم حالَ كونهم لا يُؤْمنونَ). والغرضُ مِن أسلوب الاستفهام الإنكارُ والتَّعجيب، فالتّعجيبُ مِن عَدمِ إيمانهم مع قيام موجباته، والإنكار مِن انتفاء إيمانهم، ومِن شأن الشّيء العجيب المنكر أن يُسأل عنه؛ واستعمال الاستفهام في معنى التَّعجيب والإنكار مجازٌ بعلاقة اللُّزوم[2].

نوع اللام ودلالتها في قوله ﴿لَهُمْ﴾:

تقريع الكفّار بعدم اختصاصهم بمانعٍ مِن الإيمان

أفاد حرفُ اللّام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الاختصاص، والمعنى: (إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذُكر)، وأردتَ التَّعجُّب مِن حالهم، فأقول لك: (أيُّ شيءٍ اختصّ به كفّارُ مكّة وأيُّ مانعٍ لهم حتّى يكونوا غير مؤمنين؟ ففيه تقريعٌ لهم وتبكيتٌ على عدم الإيمان[3].

بلاغةُ التَّعبير بالنَّفي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

إنكارُ الكفّارِ الأمورَ الغَيبيَّة مِن وجوه ضلالهم الحتميّة

أوثر في قولِه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نفيُ الإيمان عن الكفّار دون التَّصريح بكُفرهم لِتَعلُّق السّياق بذِكر الأمور الغيبيَّة مِن أهوال يوم القيامة وحال النّاس فيها بين مَن يُؤتى كتابَه باليمين أو وراء الظّهر، فنفيُ الإيمان - أي التَّصديق بهذه الغيبيّات - أنسب مِن ذِكر الكُفر الّذي هو السّتر والتّغطية، ومعلومٌ إذا كان الكلام منصبًّا إلى غرض من الأغراض جُعِلَ سياقُه له وتوجّهه إليه، كأنّ ما سواه مرفوض مُطَّرَحٌ[4].

(1) فاضل السّامرائي، معاني النّحو: 4/ 261.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 231.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 268.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 254.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾

استمرار الكفّار في الشِّرك وعدم الإيمان

التّعبير بالفعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مضارعًا دون غيره من الأزمنة لما يفيده المضارع من الثّبوت والدّوام والاستمرار، وفي ذلك دلالة على استمرار الكفّار في عدم الإيمان بالبعث والجزاء وثبوتهم على الشّرك بالله ﷻ.

فائدة حذف متعلّق الفعل ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾

المتّصفُ بالكفر جحودًا وعنادًا مداومٌ على الإشراك بالله سبحانه

حُذف متعلّق الفعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ إيجازًا لدلالة السّياق عليه، أي: (بالبعث والجزاء). فإنّه تعالى حكى عن الكافر: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، ثم أفتى سبحانه بأنّه يحور، فلمّا قال بعد ذلك: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دلّ على أنّ المراد: فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيامة[1].

ويجوز تنزيل فعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ منزلة اللّازم، أي لا يتّصفون بالإيمان، أي: (ما سببُ أن لا يكونوا مؤمنين؟)، لظهور الدّلائل على انفراد الله تعالى بالإلهيّة، فكيف يستمرّون على الإشراك به[2].

بلاغة الالتفات من التّكلّم إلى الغيبة:

مَن يُنكر آلاءَ المُنعم حقيقٌ بأنْ يُحرم

مِن المعلوم أنّ مِن مرامي الالتفات تجديدُ نشاط السّامع وإثارةُ انتباهه، ممّا يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا وقوّةً. ومِن هنا انتقل الخطاب مِن التّكلُّم في الآية السّابقة ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ إلى الغَيبة في هذه الآية: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والغرض إثارة التّعجُّب وتأكيد الاستغراب مِن حال الّذين لا يؤمنون. وقصدًا إلى توبيخهم، والاستنكار مِن حالهم، والتّقريع عليهم، واستحقاقهم الأخذ إن لم يرجعوا[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 103.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 231.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 348.

توجيهُ عطف جملة ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ بالواو:

جـمـع صـفـات الكفّار والتّشنيعُ عليهم بها

عُطف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ على قوله سبحانه: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران، ونكتة العطف أنّ كفّار قريش أربابُ الفصاحة والبلاغة فعند سماعهم القرآنَ لا بدّ وأن يعلموا كَونَه مُعجزًا، وإذا علِموا صِحَّةَ نُبوَّة محمّد ﷺ ووجوب طاعته في الأوامر والنّواهي، فلا جرم استبعد الله تعالى منهم تَركَ السُّجود والطّاعة عند سماع القرآن. وفي قرن السّجود بالإيمان دلالةٌ على عِظَم قَدرِه كما لا يخفى[1].

عِلَّةُ استعمال مفردة ﴿قُرِئَ﴾ دون (تُلي):

مَـن يُـحـرم لـذّة الاتّـبـاع، يُحكم عليه بالضَّياع

جاء التَّعبير القرآنيُّ بلفظ (القراءة) دون (التِّلاوة) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ لأنَّ الآيةَ في امتناع الكافرين عن السُّجود إلى الله سبحانه عند سماعهم آياتِ الله تعالى، ومِن هنا ناسبها القراءةُ دون التِّلاوة؛ فإنّ التِّلاوة تختصُّ باتِّباع كُتُبِه المُنَزَّلة؛ تارةً بالقراءة وتارة بالامتثال لما فيه مِن أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، أو ما يتوهّم فيه ذلك، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: 121]. فالتِّلاوة قرينةٌ لوجوب الاتّباع، فضلًا عن حملها معنى الإكثار والمواظبة؛ فقولك تلوت القُرآن إذا قرأته كأنَّك اتَّبعت آيَة في إثْر آيَة[2]. والكفّارُ لم يكونوا يرضَون بالقليل منه، بلْهَ سماعه؛ فكيف باتّباعه، والامتثال له.

سِرُّ التَّعبير عن فعل القراءة بالبناء للمفعول:

قصد العموم أو الإيجاز بطَيِّ ما هو معلوم

بُنيَ الفعل ﴿قُرِئَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ لما لم يُسمّ فاعله، والنّكتة في عدم التّصريح بالفاعل إمّا قصد العموم لكلّ مَن يحصُل منه فِعلُ القراءة، أي: التّركيز على فعل القراءة

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 104، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 292.
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (تلو).

في حدّ ذاته دون التّعرّض للفاعل، ومعلومٌ إذا كان الكلام منصبًّا إلى غرض من الأغراض جُعِلَ سياقه له وتوجّهه إليه، كأنّ ما سواه مرفوض مُطَّرَحٌ[1].

وإمّا للإيجاز، فمعلومٌ أنّ النبيّ ﷺ هو مَن كان يتلو على قريش القرآن ويحاجّهم به. وقد روي أنّه ﷺ: «قرأ ذات يوم: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: 19] فسجد هو ومن معه من المؤمنين، وقريشٌ تُصفِّق فوق رؤوسهم وتُصفِّر» فنزلت هذه الآيةُ مِن سورة العلق[2].

دلالة استعمال حرف الاستعلاء (على):

ورد حرف الاستعلاء (على) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ للدّلالة على شدّة التّمكّن مِن فعل القراءة، فالكفّار لا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم مع قيام الحجّة عليهم بسماع ألفاظه وفهم معانيه وأحكامه.

غرض تقديم القيد ﴿عَلَيۡهِمُ﴾:

في تخصيص القراءة إقامةٌ للحجّة

تقدّم الجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ على نائب الفاعل ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ لنكتة اختصاص كفّار قريش بقراءة القرآن عليهم، واهتمامًا بقراءته عليهم؛ تبليغًا للرّسالة وإقامةً للحجّة عليهم وتسجيلًا عليهم بعدم الخضوع عند سماعه.

سرُّ التّعبير بـ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾:

إعراض الكافرين عن القرآن إنكارٌ

القرآنُ الكريم كتاب الله تعالى الّذي يضمُّ آياته، وكلامُه تعالى المنزَّلُ على رسوله محمّد ﷺ، والتّصريحُ به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ إيماءٌ لإنكاره مِن الكافرين بكلّيته، فضلًا عن كونه منسوبًا إلى الله تعالى أو منزّلا على نبيّه. فليس الإنكار خاصًّا بآياته فحَسْبُ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 254.
(2) ابن حجر العسقلانيّ، الكافي الشّافي، رقم 313.

دلالةُ تخصيص السُّجود بالذِّكر في قوله ﴿لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾:

وضـعُ الجبهة عـلى الأرض سـجـودٌ فيه الـخـضـوع والاستكانة

السّجود المنفيّ عن الكفّار عند سماع القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾، ممّا اختلف العلماء في مقصوده؛ فمنهم مَن حَمَله على المعنى اللّغويّ وهو الخضوع والاستكانة، فإنّهم مِن أهل اللّسان، فيجب عليهم أن يجزموا بإعجاز القرآن عند سماعه، وبكونه كلامًا إلهيًّا، ويعلموا بذلك صدق مُحمَّد ﷺ في دعوى النُّبوَّة، فيطيعوه في جوامع الأوامر والنواهي. ومِنهم مَن حَملَ السُّجود على المعنى العُرفيّ وهو وضع الجبهة على الأرض، فيراد به نفس السّجود عند تلاوة آية السّجدة على أن يكون المراد بالقرآن آيةَ السّجدة بخصوصها لا مطلق القرآن[1]. وقد تمّت الإشارة فيما سبَقَ إلى أنّ قرن السّجود بالإيمان فيه دلالةٌ على عِظَم قدره[2].

وتفسير السّجود بوضع الجبهة والأنف عند آيات مخصوصة حَمْلٌ له على الحقيقة بأن يكون المرادُ نفسَ السّجود.

وكونه مِن السّجود في الصّلاة حَمْلٌ له على المجاز المرسل بعلاقته الجزئيَّة، أو يكون مجازًا عن الخضوع والخشوع؛ لكونه لازمًا للسُّجود كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: 6] وقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدَا لِلَّهِ﴾ [النحل: 48]، أي: إذا قرئ عليهم القرآن لا يخضعون لله، ولا يخشعون لمعاني القرآن، ولا يأبَهون لحجّته[3].

بلاغة الكناية في الآية:

في نفي السّجود في قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾ كناية عن نفي

في نفي السّجود نـفـيٌ لـلإيـمـان يستدعي الذمّ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 268.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 104، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 292.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 232.

الإيمان عن الكفّار، ودليل هذا المعنى مقابلته بقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ فيكون كالتَّأكيد لِما قبله. مع ظهور الدَّلائل القائمة عَلَى إمكانه. فالمُراد هنا عدمُ الإيمان عند قراءة القُرْآن الدّالّ عَلى البعث والمذكِّر للآيات الدّالَّة على صحّة الحشر والمعاد[1].

ويُستفاد من نفي السّجود الذمّ، فسياق الآية يدلّ على أنّ الله سبحانه ذمّ مَن يسمع القرآن العظيم ثمّ لا يسجد، ولهذا استدلّ أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على وجوب سجدة القرآن؛ لأنّ حصول الذمّ عند التّرك يدلّ على الوجوب، وذهب الجمهور إلى عدم وجوبها مستدلّين ببعض الآثار الصّحيحة في ذلك[2].

وجهُ التّعبير بـ﴿بَلِ﴾ ودلالتها:

يجوز أن يكون حرف ﴿بَلِ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ إضرابًا انتقاليًا مِن التَّعجيب مِن عدم إيمانهم وإنكاره عليهم إلى الإخبار عنهم بأنّهم مستمرّون على الكفر والطَّعن في القرآن، فالكلام ارتقاءٌ في التّعجيب والإنكار.

دواعي الاعتراف بصدق القرآن ظاهرة لا ينكرها إلا مستكبرٌ جاحدٌ

ويجوز أن يكون إضرابًا إبطاليًّا، أي: لا يوجد ما لأجله لا يؤمنون ولا يصدّقون بالقرآن بل الواقع بضدّ ذلك، فإنّ بواعث الإيمان من الدّلائل متوفّرة ودواعي الاعتراف بصدق القرآن والخضوع لدعوته متظاهرة، ولكنّهم يكذّبون[3].

غرضُ تقديم المُسند إليه على المُسند الفعليّ:

تقدّم الموصول الاسميّ وصلته ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ على المسند الفعلي ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ اهتمامًا بالصّلة ومناسبةً للسّياق في ذِكر أوصاف الّذين يؤتون

الاهتمامُ بمراعاة السّياق واتّساق النّظم

(1) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 174.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 292.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 232.

كتابهم وراء ظهورهم والنّعي عليهم عدمَ إيمانهم وعدم سجودهم عند سماع القرآن وتكذيبهم به.

نُكتةُ التَّعبير بالموصول دون الاسم الصَّريح أو المضمر:

ذمُّ الكافرين بكُفرهم

استُعمل الاسمُ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلته ﴿كَفَرُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾، ولم يقل (الكافرون)، أو (هم يكذّبون)؛ لنكتة الذّمّ والتّقريع بما في حيّز الصّلة، فأوّل ما يُذمّ به الكفّار كُفرهم، ولهذا كثُر استعمال هذا التّعبير في القرآن الكريم، فهو لفظٌ مطلقٌ يتناول كلّ مَن صمَّم على الكفر وغيره، وكذلك للإشعار بأنَّ كفرهم هو العلّةُ في عدم خضوعهم للقرآن والإيمان بوعده ووعيده[1]. فالعدول إلى الموصول والصّلة للتَّعميم، والتَّنبيه على الوصف الّذي حملهم على التَّكذيب وهو الكفر. والصّلة هي مَن تؤذن بذمّهم بالكفر، أي: إنّهم استمرّوا على التَّكذيب لتَأصُّل الكفر فيهم وكونهم يُنعتون به[2].

غرضُ حذف مُتعلَّق الفِعل ﴿كَفَرُواْ﴾:

إطلاق الكفر لإفادة العموم

حُذفَ متعلّقُ الفِعل ﴿كَفَرُواْ﴾ مِن قولِه تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾، وفي تعليل ذلك ثلاثةُ مَسالِكَ:

الأوَّلُ: أن يُقدَّر له منصوبٌ خاصٌّ، والمعنى: كفروا بالقرآن النّاطق بما ذكر مِن أحوال القيامة وأهوالها. **والثّاني:** أن لا يُقدَّر مفعولٌ خاصٌّ، لإفادة العموم، والمعنى: يكفرون باللّه وبنبيّه. والغالب المستفيض مِن استعمال لفظ الكُفر في القرآن أنّ معناه الكُفر باللّه، ومِن المقرَّرِ أنَّه متى كان الفعل نَصًّا في مطلوبه لا يُذْكَرُ المتَعَلّقُ به إلا لِغَرضٍ بلاغيٍّ آخرَ مقصود[3]. **والثّالث:** أنْ يُنَزَّلَ الفعلُ المتعدّي

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 426، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 31/ 269.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 21/ 349، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 233.
(3) الشّعراويّ، التّفسير: 13/ 7904.

منزلة اللّازمِ، فلا يُقَدَّرُ له مفعولٌ أصلًا، ومعنى (كفروا) على هذا: يحصُلُ منهم الكفر.

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يُكَذِّبُونَ﴾:

الإصـــرارُ على الكفر والتّكذيب

التّعبيرُ بالفعل ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ مضارعًا دون غيره من الأزمنة لِما يفيده المضارع مِن الثّبوت والدّوام والاستمرار، وفي ذلك دلالةٌ على حدوث التّكذيب منهم وتجدّده. فهم مستمرّون على التّكذيب عنادًا وكبرياءً، فكما نفى عنهم تجدُّدَ الإيمان وتجدُّدَ الخضوع عند قراءة القرآن أثبَت لهم تَجَدُّد التّكذيب. وكذلك يفيد التّعبيرُ استحضارَ الحالة وتصويرَها مثل قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤﴾ [هود: 74]، فالإخبار عنهم بأنّهم يكذّبون مستعمل في التّعجيب والإنكار[1].

غرضُ حَذفِ مُتعلَّق ﴿يُكَذِّبُونَ﴾:

إطـــلاق الكـفـر لإفادة العموم

في حَذف متعلّق الفعل ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ مِن قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾، مَسالِكُ ثلاثةٌ ذُكِرَت في الفائدة الخاصّة بحذف متعلّق الفعل ﴿كَفَرُواْ﴾، وخلاصته مع الفعل ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ تقديرُ منصوبٍ خاصٍّ، والمعنى: يُكذّبون بما ذُكِر مِن أحوال القيامة والبعث والنّشور. أو أن لا يُقدَّر مفعولٌ خاصٌّ؛ لإفادة العموم، والمعنى: يُكذّبون بكلّ ما جاء في القرآن. أو أنْ يُنَزَّلَ الفعل المتعدّي منزلة اللّازم، فلا يُقَدَّرُ له مفعولٌ أصلًا، ومعنى ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ على هذا: يحصُلُ منهم التّكذيب.

نوع الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾:

خـالـق الـبـشـر أعلمُ بما توعيه صدورُهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ للاعتراض، فهذه الجملة معترضة بين المعطوفة والمعطوف عليه، أي بين قوله سبحانه: ﴿بَلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 233.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾، وجملة: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والغرض من الاعتراض التّأكيد بأنّ الله ﷻ أعلمُ بما توعيه صدورُ هؤلاء المشركين، مِن التّكذيب بكتاب الله ورسوله[1].

بلاغةُ التّعبير باسم الجلالة:

استحضارُ عظمة الله ذي الجلال الجامِعِ لِصِفاتِ الكمال

أوثر في قَوْله تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ التّعبيرُ باسم الله الأعظم (الله) لتربية المهابة في قلوب العباد باستحضار عظمة الله ذي الجلال الجامِعِ لِصِفاتِ الكمالِ، فيَذكرُ النَّظمُ الاسمَ الكريمَ الجامعَ لأسمائه الحسنى تعظيمًا لحقّ الألوهيّة، وتقريرًا للقوّة الكاملة والعزّة القاهرة لله سبحانه، ومِن ذلك عِلمُه المطلق بأفعال عباده وما تُكنُّ صدورهم فهو الملك المحيط بكُلِّ شيءٍ قدرةً وعلمًا[2].

دلالة استعمال ﴿أَعْلَمُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عِلمُ الله تعالى بأعمال العباد كنايةٌ عن مجازاتهم عليها

جاء لفظ ﴿أَعْلَمُ﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ على صيغة أفعل التّفضيل؛ لكونِه سبحانه أعلمَ منهم أنفُسِهم بما يضعون في أوعية صدورهم مِن الكفر، ويجوز أن يكون المعنى: (والله تعالى أعلم بما يجمعونه في صحفهم من أعمال السّوء)، وأيًّا ما كان، فعِلمُ الله تعالى بذلك كنايةٌ عن مُجازاته سبحانه عليها. ويجوز أن يكون المراد الإشارةَ إلى أنَّ لهم وراء التّكذيب قبائحَ عظيمةً كثيرة يضيق عن شرحها نطاق العبارة. أو أنّ الله تعالى أعلمُ بما يضمرونه في أنفسهم مِن أدلَّة كونه - أي القرآن - حقًّا، فيكون المراد المبالغةَ في عنادهم وتكذيبهم على خلاف علمهم[3].

نوع الباء ودلالتها في قوله ﴿بِمَا﴾:

ملابسة علم الله المطلق لشؤون عباده

معنى (الباء) في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ الملابسة،

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 257.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 350.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 350، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 292.

فعِلمُ اللّه المطلق ملابِسٌ لكلّ شؤون عباده، وما تُكنّه صدورهم، فلا يمكن أن يكون خالقًا للأرض وما فيها وللسّماوات وما فيها مِن المخلوقات إلّا إذا كان عالمًا بها محيطًا بجزئيّاتها وكُلّيّاتها[1].

نوع (ما) ودلالتها:

الله تعالى يعلم كـلَّ مـا يُخفى وإنْ كَثُرَ

يجوز في لفظ (ما) في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أن تكون موصولةً، والعائد محذوفٌ، أي: (بالّذي يُضمرونه في صدورهم مِن الكفر والحسد والبغضاء والبغي وغيرِ ذلك)، بما تدلُّ عليه (ما) مِن عموم. فـ(ما) أوسعُ استعمالاً استعمالًا مِنْ (مَنْ) وأكثر إبهامًا منها. ويجوز أن تكون (ما) مصدريّةً، فتؤول مع فِعلِها بمصدرٍ تقديره: (واللّه أعلمُ بإيعائهم)[2].

بلاغةُ استعمال مُفردة ﴿يُوعُونَ﴾:

تحذيرٌ لِمن يُضمر الشرَّ في صدره ويوعيه

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أوثر التَّعبيرُ بالفعل ﴿يُوعُونَ﴾، وأصلُه من الوعاء، يقال: أوعيت الشيء، أي: جعلته في وعاء كما قال: ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج: 18]، والإيعاءُ حِفظُ الأمتعة في وعاء، والمعنى: (واللّه أعلم بما يجمعون في صدورهم مِن الشّرك والتّكذيب، فهو مجازيهم عليه في الدّنيا والآخرة)[3]. وصوغه مضارعًا دليلٌ على عِلمه تعالى بما يجمعون في صدورهم من آفاتٍ مهما تجدَّدَ ذلك منهم.

بلاغة المجاز في لفظ ﴿يُوعُونَ﴾:

إضـمـار عـداوة الرَّسول معلومٌ عند الله تعالى

جاء التَّعبير بلفظِ (الإيعاء) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، وحقيقته جعلُ الشّيء في وعاء؛ وأريد به هنا الإضمار مجازًا، أي إنّ الوعاءَ مُسْتَعارٌ للإضمار. وما يوعون مُسْتَعارٌ لِما يضمرون، ولهذا قال ابن عباس في تفسير الآية: واللّه أعلم بما

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 02/ 383.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 292، ومحمود صافي، الجدول: 15/ 287.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 104.

تضمرون مِن عداوة الرّسول ﷺ والمؤمنين. وقال مجاهد: بما يكتمون من أفعالهم[1].

فائدة حذف مفعول فعل ﴿يُوعُونَ﴾:

لا شـيء ممّا يوعون يخفى، واللـه بما يضمرون أدرى

مفعول الفعل ﴿يُوعُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ محذوفٌ، وحذف العائد المنصوب في جملة الصّلة مشهورٌ، والنّكتة في حذفه الإيجازُ لظهور المعنى من السّياق، ولتذهب النّفسُ في تقديره كلّ مذهب، فتتكاثر المعاني وتتنوّع الأقوال. كما أنّ في حذف هذا المفعول مراعاةً للفواصل السّابقة.

فائدة الجملة الخبريّة ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾:

الجزاء والإنذار والتّهديد مآلُ عِلم الله تعالى بما يضمرون

المقصود مِن الخبر في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ لازمُ الفائدة، فالإخبار بعلمه تعالى بما يوعون مرادٌ به مجازاتُهم به، فهو كنايةٌ عن الجزاء، أو كنايةٌ عن الإنذار والتّهديد بأنَّ الله يجازيهم بسوء نيّتهم وخبث طويّتهم[2].

نوعُ الفاء ودلالتُها في قوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾:

تفريع مجازاة الكفّار على الإخبار بعلمه

وُصِل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بما قبله بحرف الفاء، وتحتمل أن تكون هذه الفاء الفصيحة، أو للتّفريع، فعلى كونها فاءَ الفصيحة؛ أي: أفصحت عن جواب شرطٍ مُقدَّرٍ، فيكون المعنى: (إذا كان حالهم ما ذُكر فبشِّرهم ... إلخ). وعلى كونها للتّفريع، فقد فرّع على الإخبار بعلمه تعالى بما يوعون مرادًا به مجازاتهم به، وقيل على تكذيبهم، أي: مفرّعًا على جملة ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾[3].

دلالة التّعبير بالفعل: ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾:

الانهماك في المعاصي هلاك

في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أوثر التّعبيرُ بفعل الأمر

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 440.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 233.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 292.

(بشِّرهم)، من البِشارة، وهي: كلّ خبر صدق تتغيّر بَشَرةُ الوجه به، وبناء على هذا؛ فإنّ البشارة مستعملة في الخير والشرّ، إلّا أنها في الخير أغلب. وذهب بعض أهل العلم إلى أنّ البشارة هي الخبر السّارُّ وحده، واستعماله هنا في الخبر المؤلم من باب التَّهكُّم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: 15]، وجوّز بعضهم أن يكون ذلك على تنزيلهم - لانهماكهم في المعاصي الموجبة للعذاب وعدم استرجاعهم عنها - منزلة الرّاغبين في العذاب حتّى كان الإخبار به تبشيرًا وإخبارًا بسارٍّ[1].

نوع الباء ودلالتها في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾:

حرف الباء في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ لتعدية الفعل (بشِّرهم) إلى مفعوله، فلمّا كانت البشارة بمعنى الإخبار، فإنّها تتعدّى إلى مفعولين، وتصل إلى المفعول الثّاني بحرف الجرّ، كما يجوز أن تكون للملابسة.

سِرُّ إيثار لفظ (العذاب) دون (العقاب):

تهديد الكفّار بالعذاب الأليم وتكدير العيش

أصل لفظ (العذاب) الوارد في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ﴾ الضَّربُ، ثم استعير ذلك في كلّ شدّة[2]. أو هو إكثارُ الضّرب بعَذَبَةِ السّوطِ، أي: طرفها، ولعلّه أيضا مِن قولهم: ماءٌ عَذَبٌ إذا كان فيه قذًى وكدَرٌ، فيكون عَذَّبْتُهُ كقولك: كدّرت عيشَه.[3] فتوعّد الله الكفّار بالعيش الشّديد الكدر في جهنّم والعياذ بالله. ففي لفظ العذاب تخصيصٌ لا يوحي به لفظ العقاب العامّ الّذي قد يعني العذاب وقد يعني غيره.

نُكتةُ تنكير لفظ (عذابٍ):

عذاب الكافرين عظيمٌ نوعًا ومقدارًا

يجوز أن يكون تنكير لفظ (عذابٍ) لبيان النوع، أي: (لهم نوعٌ

(1) الشَّريف الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 45، والمُناويّ، التَّوقيف على مهمّات التَّعاريف، ص: 78، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 293.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عذب).
(3) الرّاغب، المفردات: (عذب).

خاصٌّ مِن العذاب). ويحتمل أن يكون تنكيره للتّعظيم، ويُشكل عليه وصفه في بعض الآيات بالعظمة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: 7]، فدلالة التّنكير على التّعظيم بالفحوى، وما دلّ عليه بالفحوى يُستغنى عنه إذا جاء ما يدلّ عليه بالوضع، فدلالة الوصف على العظمة دلالةٌ وضعية تغني عن استفادة التعظيم من التّنكير[1].

والأظهر أنَّ دلالة التَّنكير على النّوعية مستلزم القول بالتّعظيم؛ إذ المقصود بالنّوعية: أنّ لهم نوعًا من العذاب لا يعلم حقيقته إلا الله[2]، وهذا ظاهر في إفادته التّعظيمَ، ويكون وصف العذاب بالعظمة في بعض الآيات بمنزلة التّوكيد المعنويِّ له.

بلاغة الاستثناء في قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

وُجِّه الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بين الاتّصال والانقطاع؛ فجَعَله بعضُهم استثناءً منقطعًا مِن ضمير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ فهو داخل في التّبشير المستعمل في التّهكّم زيادة في إدخال الحزن عليهم. وحرف ﴿إِلَّا﴾ بمنزلة (لكن) والاستدراك فيه لمجرّد المضادّة لا لدفع توهّم إرادة ضدّ ذلك[3].

فـي التـهـكّـم بالكافرين مزيدُ إشعارٍ بمآلهم الحزين

وذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ الاستثناء متّصلٌ، إمّا على أنّه استثناء من الضّمير في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ جريًا على تأويله بركوب طباق الشّدائد والأهوال يوم القيامة وما هو في معنى ذلك من التّهديد. وإمّا على أنّه استثناء من ضمير الجمع في ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ والمعنى إلّا الذين يتوبون ويؤمنون مِن الّذين هم مشركون الآن، أي: إلّا من تاب منهم فإنّهم وإن كانوا في الحال كفّارًا إلّا أنّهم متى تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات

بـابُ الـتَّـوبـة مفتوحٌ للعباد لا يُغلق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 258.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 53.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 728، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 234.

فلهم أجر عظيم كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: 160][1].

دلالةُ التّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

مـدح المؤمنين بإيمانهم بربّ العالمين

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عُبِّرَ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصِلَته ﴿ءَامَنُواْ﴾ بدل الاسم الظّاهر لِما يفيده الاسم الموصول مِن الوصف بجملة الصّلة، والمدح بما في حيّزها، فقد مدح الله عباده الّذين استقرّ الإيمانُ في قلوبهم وأثنى عليهم بما في حيّز الصّلة مِن أوّل الأمر، وهو أنّهم صدّقوا بما جاء به محمّد ﷺ، فاستحقّوا الجزاء المرتّب على إيمانهم.

سرّ التّعبير بالفعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ ماضيًا:

نـور الإيمان راسخٌ في قلوب المؤمنين

أوثر استعمال فعل الإيمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصيغة الماضي دون غيرها للدّلالة على تحقّق الإيمان في قلوب المؤمنين سواء كان مقصودًا بهذا الوصف الصّحابة، أو كان مقصودًا به مَن تاب مِن المشركين ووقر الإيمانُ في قلوبهم بعد كفرهم.

نُكتةُ إطلاق فعل ﴿ءَامَنُواْ﴾:

إفـراد فِعل الإيمان بالذِّكر دون مُتعلَّقه اهتمامٌ بتحصيله

أوثر حذف متعلَّق الفعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لنكتة الإيجاز للعلم به، فقد صرّحت آياتٌ كثيرةٌ بمتعلّق الإيمان وأركانه، وقد صار هذا الوصف ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عَلَمًا على المسلمين، مع ما في ذلك من التّركيز على فعل الإيمان في حدّ ذاته اهتمامًا بتحصيله، ومعلومٌ إذا كان الكلام منصبًّا إلى غرض من الأغراض جُعِلَ سياقه له وتوجّهه إليه، كأنّ ما سواه مرفوضٌ مُطَّرَحٌ[2].

وجهُ العَطفِ بالواو في قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

عُطف عَملُ الصّالحات في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 105.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 254.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الإيمان بحرف الواو الدّالّ على الجمع والاقتران لإفادة ضرورة الجمع بينهما لنيل الأجر الموعود، فالعبد مطالبٌ بأن يوجِدَ الأساس الّذي لا يَثبتُ عملٌ بدونه وهو الإيمان، ثمّ يصدّق ذلك بالعمل الصّالح المؤسَّسِ على الإيمان[1].

العمل الصّالح تصديقٌ للإيمان وتمكينٌ لفضيلة الإحسان

فحقيقة الإيمان شرعًا ليس مجرَّدَ اعتقاداتٍ لا تُثمر عملًا، وإنّما الإيمانُ في الشّرع قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، فالعمل ركن من أركان الإيمان لا يُتصوّر وجود إيمان دونه.

وفي ذلك أيضا إيماءٌ إلى أنّ عمل الصّالحات لا يُعتدّ به إلّا مع الإيمان كما قال تعالى في سورة البلد: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: 17]، وقال في عكسه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: 39][2].

نُكتةُ إيثارِ لفظ العمل دون غيره:

أوثر التّعبيرُ بالفعل (عمل) في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ دون غيره كـ(فعلوا) مثلًا؛ لأنّ العمل لا يكون إلّا بقصدٍ، فهو أخصُّ مِن الفِعل[3]، فيجب على المؤمن القصدُ إلى الأعمال الصّالحة والاجتهاد فيها لينال بذلك الأجرَ غير الممنون، ثمّ إنَّ الفعل (عمل) يُطلق على معالجة الشَّيء، والدَّأبِ عليه، ولهذا سُمّيت النّاقة الدؤوب باليَعْمُلةِ، فينبغي للمؤمن المداومة على العمل الصّالح وعدم الانقطاع عنه.

قصد المؤمن للأعمال الصالحة

نوع التّعريف في قوله: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

ورد لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُعرّفةً بأل الجنسية الدّالّة على العموم، وعدم إرادة التّعيين،

التّرغيب في عموم الأعمال الصّالحة دون تعيين

(1) الخطيب الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/ 675.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 484، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 76.
(3) الرّاغب، المفردات: (عمل).

فالمؤمنُ مطالَبٌ بالحرص على اغتنام كلّ الأعمال الصالحة دون تعيين، لقوله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ»[1]. وقوله ﷺ: «اتَّقوا النّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ، فمَن لَمْ يَجِدْ فبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2].

دلالة التّعبير بالجمع في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

جُمعتِ الصّالحاتُ في قول الله ﷻ: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ للإيماء إلى تنوّعها وكثرة أفرادها، فهذه الأعمال وإن جمعها وصفُ الصّلاح إلّا أنّها مفترقةٌ متنوّعةٌ، فهي شاملةٌ للصّلاح في معاملة الله تعالى من أنواع العبادات والطّاعات، ومعاملة خَلقِه مِن صنوف الإحسان وضُروبِ مكارم الأخلاق[3].

تنوُّعُ صنوف الأعمال الصّالحة وكثرةُ أفرادها

دلالة حذف الموصوف في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إيجازٌ بالحذف، فقد حُذف الموصوفُ وأُبقيت الصِّفة، والتّقدير: (الذين يعملون الأعمال الصّالحات)، فحُذف الموصوف (الأعمال) اقتصادًا في اللّفظ لظهور المحذوف وتعيُّنه بقرينة الفعل (عملوا) قبله.

طيُّ الكلام الّذي دلّت عليه القرائن اقتصادًا في اللّفظ

عِلّةُ فصلِ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مفصولًا عمّا قبله؛ لكونه استئنافًا بيانيًّا مقرّرًا لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عن المذكورين ومبيِّنًا لكيفيَّته ومقارنته للثَّواب العظيم الكثير. كأنّ سائلًا سأل: كيف حالهم يوم يكون أولئك في عذاب أليم؟[4].

بيانُ جزاء المؤمنين بعد بيان جزاء الكافرين

بيان المتشابه اللّفظي بين سورتَي الانشقاق والتّين:

قال ربّنا سبحانه في هذه السّورة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: (رقم: 2626).
(2) أخرجه البخاريّ في صحيحه: (رقم: 6023).
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4342.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 293، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 235.

ضعف الإنسان العـامـل للصّالحات لا يَقطعُ أجرَه

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾، وقال في سورة التّين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾ [التّين: 6]، فزيدت الفاء في موضع التّين دون موضع الانشقاق، ونكتة زيادتها أنّ الاستثناء في سورة التّين مُتَّصلٌ فتمّ الكلام به، والاستثناء في سورة الانشقاق منقطعٌ بمعنى (لكن) فلم يتمّ الكلام به؛ لأنّ المراد بـ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾ [التين: 5] هَرَمُه وضَعفُه وضَعفُ حواسّه وعدمُ قدرته على الأعمال، فصار تقديره: (لكن مَن كان يعمل صالحا فإنّا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم) كما ورد في الحديث[1].

ويجوز أيضًا في الفرق بين الموضعين أنّه تقدّم في موضع الانشقاق بأنَّ مَن حوسب عُذِّب، وأنّ النّاجيَ إنّما يكون حسابه عرضًا، فعُلم أنّه ليس للأعمال دخلٌ في الحقيقة في الأجر، وإنما المدار كما قال النّبيّ ﷺ على التّغمّد بالرّحمة، حتّى في تسمية النّعيم أجرًا أسقط الفاء المؤذنة بالسّبب تنبيهًا على ذلك، بخلاف ما في سورة التّين الّتي اقتضى سياقها فاء السّببية، لمّا كان السّياق لمدح المؤمنين حَسُن أن يعدّ أعمالهم الّتي تفضّل عليهم بها سببًا، كما منّ عليهم به مِن الثّواب فقال: ﴿فَلَهُمۡ﴾ [التين: 6] أي فتسبّب عن ذلك أن كان لهم في الدّارين على ما وُفِّقوا له مِمّا يرضيه ﷻ أجرٌ عظيمٌ غيرُ ممنون[2].

نوع اللّام ودلالتها في قوله ﴿لَهُمۡ﴾:

تكريمُ المؤمنين بالأجر العظيم

معنى حرف اللّام الوارد في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ الاختصاص، أي إنَّ اللّه سبحانه اختصّ عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات دون الكفّار المكذّبين بالأجر العظيم غير المقطوع، وفي هذا الاختصاص كمالُ العناية والتّكريم للمؤمنين الصّالحين في الدّنيا والآخرة.

(1) ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص: 376.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 350.

دلالةُ تقديم شِبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

أهـلُ الإيمـان والعمل الصّالح مختصّون بالأجر غير الممنون

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿أَجْرٌ﴾ مِن قول الله سبحانه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ لإفادة القصر، أي: إنّ الموصوفين بالإيمان والعمل الصالح مختصّون بالأجر الدّائم غير المقطوع، وهو هنا الجزاء في الجنّة، وهو قصرٌ حقيقيٌّ؛ إذ دخولُ الجنّة مختصٌّ بأهل الإيمان لا يَشرَكُهم فيه غيرُهم. وفي هذا حثٌّ على التزام هذين الوصفين الجليلين لتحصيل هذا الجزاء الجليل.

سِرُّ إيثار لفظ ﴿أَجْرٌ﴾ دون (ثواب) أو (جزاء):

الأجر مخصوصٌ بالنّفع والمعاوضة

أوثر التّعبير بلفظ ﴿أَجْرٌ﴾ في قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دون غيره كـ(الثّواب) و(الجزاء) مناسبةً لسياق الامتنان، فلفظ الأجر يختصُّ بكونه مستعملًا في النَّفع دون الضَّرِّ، ويتضمّن معنى المعاوضة، ولهذا فهو أخصُّ مِن الثَّواب والجزاء، مِن جهة اختصاصه بالخير، بخلاف الثّواب والجزاء فهُما أعمُّ؛ لجريانهما في الخير والشِّرِّ، وإن كان الثّوابُ أخصَّ مِن الأجر والجزاء مِن جهة أنّه لا يستعمل في المنافع المادّيَّة أو الدُّنيويَّة، بخلاف الأجر والجزاء؛ فإنّهما يقعان على المنافع الدُّنيويَّة والمنافع الأُخرويّة[1].

نُكتةُ تنكير لفظ ﴿أَجْرٌ﴾:

عـطـايـا الـلـه عظيمةٌ، وجزاؤه للصّالحين مديدٌ

نُكِّر لفظُ الأجرِ في قول الله سبحانه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ تعظيمًا لِقَدرِه وتكثيرًا لأفراده، ولِتذهَبَ النَّفسُ في تقديره مذاهبَ مختلفةً شتّى، وذلك أبلغُ أثرًا وأعمق. فوعد الله سبحانه عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بأجرٍ عظيمٍ دائمٍ وثوابٍ جزيلٍ يَعلَمُه الله تعالى[2].

---

(1) محمد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 46 - 48، ومحمّد ياس الدّوريّ، دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآنيّ، ص: 164 - 166.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 21/ 351، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 293.

دلالةُ النَّفي بـ﴿غَيْرُ﴾:

يُعَدُّ لفظ ﴿غَيْرُ﴾ اسمًا صريحًا موغلًا في الإبهام يفيد المغايرة، بمعنى أنّ ما بعده يغاير ما قبله في المعنى، ويستعمل للمفاهيم المتضادّة، وقد اقترن في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ - وصفًا للأجر - بلفظِ ﴿مَمْنُونٍ﴾. وإيغاله في الإبهام إشعارٌ ببُعد ذلك الأجر في عدم الانقطاع، بل نفيٌ لانقطاعه على الإطلاق. فالأجر المنقوص لا يناسب مقام المُنعِم سبحانه، بَلْهَ مقامَ إكرام المؤمنين وتشريفهم في المشهد العظيم.

الأجـر المنقوص لا يناسب مقام المـنـعـم، ولا تشريف المؤمنين

دلالةُ التّعبير بصيغة ﴿مَمْنُونٍ﴾:

معنى المتضايفين ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ في قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: (غيرُ مقطوع)، وأصله من الفعل (مَنَّ) إذا قطع، أو مِن (منَّ عليه)؛ إذا اعتدّ بالصَّنيعة وحسبها، وجعل بعضهم المنّ بهذا المعنى من (منّ) بمعنى قطع أيضا لِما أنّه يقطع النّعمة ويقتضي قطع شكرها. وقد ذكر العلماء في معنى ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ في الآية وجوهًا متنوّعةً هي: أنّ ذلك الثّواب يصل إليهم بلا منٍّ ولا أذًى، ومن غير انقطاع، ومن غير تنغيص، ومن غير نقصان.

أجـرُ المـؤمـنين دائمٌ غير منغّص ولا ناقص

والأولى أن يُحمل اللّفظ على الكلّ؛ لأنّ مِن شرط الثّواب حصولَ الكلّ، فكأنّه تعالى وعدهم بأجر خالص من الشّوائب دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا بخس، وهذا نهاية الوعد، فصار ذلك ترغيبًا في العبادات، كما أنّ الّذي تقدَّم هو زجرٌ عن المعاصي[1].

سِرُّ التّعبير بقوله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دون (كريم) أو (دائم):

في قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عُبِّر بلفظ ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دون الوصف الصّريح كـ(كريم) أو (دائم)؛ لأنّ نفي الانقطاع أبلغ

إشـعـارُ المـؤمـن بـالأمـان والاطمئنان مِن صور تنعيمه في الجنان

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 105، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 293.

من الوصف بالدّوام، وأشعر بالاطمئنان، ففرقٌ بين أن نقول مثلًا: (هذا الماء جارٍ)، وبين أن نقول: (هذا الماء غير منقطع). فالثّاني يبعث على الاطمئنان، والشُّعورِ بالارتياح، والإحساس بالأمان، وهذه المبشّراتُ من وجوه التشريف، ومن صور الإكرام الَّتي يكتمل بها تنعيمُ المؤمن في الجنّة، والاحتفاءُ به، وإكرامُه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(يوعون) و(يخفون):

الإيعـاء يقتضي الجمعَ والإخفاءَ

يتجلّى الفرق بين لفظي: (يوعون)، و(يخفون) في ملمح اشتقاق كلّ لفظ منهما، فلفظ (يخفون) عامّ في مطلق السّتر عن الأنظار، أمّا لفظ (يوعون) فمشتقّ من الوعاء فيقتضي الجمع والحفظ، ويدلّ على الإخفاء والإضمار دلالةً مجازيَّةً كأنّهم يُخفون عداوة الرّسول ﷺ والمؤمنين في وعاء صدورهم[1]. فلفظ (يوعون) أعمقُ دلالةً من لفظ (يخفون).

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 440.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"